

بسم الله الرحمن الرحيم مآثر يوم عاشوراء

بعد أن عشنا جميعا هذه الأيام في ظلال أول محرم من هذه السنة الجديدة ، والتي أعادت إلى أذهاننا تلك الأحداث الكبيرة التي تلاحقت على رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام وأصحابه الطيبين الطاهرين ، من غربة وإيذاء وتعذيب وتشريد واضطهاد في الدين ، حيث انطلقوا بعدها مهاجرين في سبيل الله ، فخرجوا جميعا فرادى وجماعات ، فآزين بدينهم وعقيدتهم ، ومضحين في سبيل ذلك بكل غال ونفيس ، تاركين وراءهم الأهل والوطن والمال والولد ...
بعد تلك الذكرى العظيمة ، ها نحن نعيش في رحاب يوم من أيام الله الخالدة ، يوم عاشوراء ، حيث يعمل المسلمون في العالم كله على إحياء معانيها في كل عاشر من شهر محرم من كل سنة عربية ، ففي مثل هذا اليوم نجى الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام ومن آمن معه من بني إسرائيل من مكائد فرعون وجنوده ، بعد عدة منازل بين الفريقين ، كان آخرها ملاحقة فرعون وجنوده لموسى وأتباعه ، يريدون قطع دابرهم ، واستئصال شأفتهم والتخلص من دعوتهم — وتلك رغبة الظالمين العناة في كل عصر وحين —

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف الجلل في قوله تعالى :
” فَأَتَبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * ” سورة الشعراء 61 — 68 ،
ألا ما أعظمه من موقف ، يجدد الأمل في النفوس ، موقف يذكر أهل الأرض جميعا بقدرة الله وقوته ، وأنه ينصر أوليائه المؤمنين ويهزم أعداء الدين ” إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالدِّينَ أَمْثَلًا وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * ” سورة الشعراء 61 — 68 ،
المؤمنين ” الروم 47 ، تلك سنة ماضية في الأولين والآخرين ...

من كان يظن أن الدين الذي بدأ برجل وامرأة و غلام سيصبح أمة تملأ الأفاق ؟؟؟
من كان يظن أن الإسلام يقضي على أعظم امبراطوريتين آنذاك الفرس والروم ؟؟؟
من كان يظن أن التتار سيصبحون في خبر كان ويدخلون طي النسيان بعد أن عاثوا في الأرض فسادا ؟؟؟
من كان يظن أن شعبنا الأعزل يقهر العناة الظالمين من الفرنسيين المحتلين ومن وراءهم من الحلفاء المارقين ؟؟؟
يوم عاشوراء — يا سادة — صفة في وجوه المنهزمين والقانطين واليائسين ، يحرر الضمائر ويوقظ المشاعر ، ويصيح في وجوه الجميع قائلا : إن النصر قد يأتي أحيانا بقدرة الله الخارقة وبآياته الباهرة لجنده وأوليائه الصالحين ، فيهلك الله عدوهم ويكفيهم شرهم ، فكونوا من عباد الله الصالحين ، تناولوا الخير العميم والفضل الكريم ...
” وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا فِيهَا قَوْمَ لُوطٍ وَإِنَّا لَمَدْرَكُونَ * ” سورة النور 55 .
” وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ” الأنبياء 105 .
عباد الله :

يوم عاشوراء يذكرنا بصفة من صفات هذه الأمة ، ومبدأ من مبادئها ، ألا وهو التميز على سائر الأمم ، في مظاهر الحياة ، في العقيدة كما في العبادة كما في الأخلاق والمعاملات ، كيف لا ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد اليهود تصوم العاشر من محرم ، فيعقد العزم على مخالفتهم في العام المقبل ، وذلك بصيام التاسع كذلك من نفس الشهر ، فعن ابن عباس قال : ” لما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : إذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع إن شاء الله ، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ” وفي لفظ ” لنن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع ” أخرجه مسلم .
ثم تأمل في سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وهو دليل على أن مخالفة اليهود والنصارى كان من أخلاقهم ومتأصلا فيهم ...

إننا أمة غنية في القيم والمثل والأخلاق ، وغيرنا عالة علينا في ذلك إذا صحت النوايا وصدقت العزائم ، فاحذروا يرحمكم الله من الغثائية والتقليد الأعمى ، الذي يحيلنا إلى أمة مهزومة تتبع غيرها ولا تفقه أثر المتبوع ، وكم حذرنا نبينا من ذلك ” لتتبعن سنن الذين من قبلكم شيرا بشيرا وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه قلنا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ” أخرجه البخاري عن سعد بن مالك ،
كالعيس في البيداء يقتلها الظما *** والماء فوق رؤوسها محمول
انظروا يرحمكم الله من حولكم ، ستجدون حقائق مرعبة عن أناس أصبحت قوتهم سلوكات غريبة وتصرفات سلبية وانحرافات فكرية وضلالات عقيدية
” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ .. ” المائدة

57 .
” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ” آل عمران 100 ،
أيها الإخوة والأخوات :

إن من أكبر العبر وأجل العظات في يوم عاشوراء ، أن الأنبياء ينبعون من مشكاة واحدة ، وأن بعضهم أولى ببعض ، فحينما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة عن هذا اليوم ، قالوا : ذلك يوم نجى الله فيه موسى وأغرق فيه فرعون فصامه موسى ، فنحن نعظمه ، فقال : ” أنا أولى بموسى منكم ” ، نعم ، نحن أولى بموسى من اليهود وأولى بعيسى من النصارى ، لأنهم بدلوا وغيروا وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ...

الأنبياء عليهم السلام يتحدون في الدين والرسالة، والعنوان الأكبر هو: التوحيد هو الإسلام ” ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ” آل عمران 85 ، وفي الحديث ” إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً وحسنه وجمله إلا موضع لبنة ، فصار الناس يطوفون به ويعجبون له ، يقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين ” البخاري عن أبي هريرة . ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر يحمل نسخة من التوراة ، قال له : ” أمتهوكون نحن يا ابن الخطاب والله لقد جننتم بها بيبضاء نقيّة ، ولو كان موسى ابن عمران حياً لما وسعه إلا أتباعي ” أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله . عباد الله :

هذه وقفة يسيرة مع يوم من أيام ، امتثالاً لقوله تعالى ” ولقد ارسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ” إبراهيم 5.

ذكرهم بأيام الله ، ليعرفوا السنن الربانية والحكم الإلهية ، التي أقام عليها حياة الأمم والشعوب ، وفي مقدمتها ، حقيقة الصراع بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الأمانة والخيانة ، ” ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ” الحج 40 .

واذكروا يرحمكم الله، أن صيام يوم عاشوراء أجره وفير وثوابه كبير ، فمن منا لا يحب أن تغفر له الذنوب وتُستر له العيوب ؟ عن أبي قتادة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ” صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ” مسلم . ويستحب صوم التاسع مع العاشر لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” لنن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع ” أخرجه مسلم .

فلا تقوتوا على أنفسكم هذا الثواب ، وإنه والله من العمل اليسير ، الذي يثمر الخير الكثير والأجر الوفير .. نفعنا الله وإياكم ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، واذكروا يرحمكم الله أن الله أمر بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وثلث بكم أنتم أيها المؤمنون فقال ” إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ”

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
الخطبة الثانية :

عباد الله :

مع ظهور هلال محرم ، وقدم عام هجري جديد ، يبدأ الحديث عن الزكاة ، هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ، الذي تتجلى فيه عظمة هذا الدين ، الذي جاء لإصلاح البشر ، ومنع الفساد في الأرض ، وإقامة مجتمع متضافر ، القوي يأخذ بيد الضعيف ، والغني يُمدّ فيه الفقير ، في مودة ورحمة وتعاون ، كما جاء في سنن أبي داود عن أبي الدرداء قوله صلى الله عليه وسلم : ” أيغوني في الضعفاء قائما تنصرون وترزقون بضعفانكم ” .

ولقد اتجه الإسلام أولاً إلى الفقر باقتلاع أسبابه ، فحض على العمل بكل ضروبه، وحث على السعي في الأرض لطلب الرزق ” هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ” الملك 15 ، أما العاجز عن العمل فتتكفل به الدولة والجماعة المؤمنة ، فجعل الإسلام لهؤلاء حقا في أموال الأغنياء ” الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ” المعارج 23 – 24

لا يخفى على أحد ، أن لإخراج الزكاة آثار على المال والفرد والمجتمع :

– أما المال : فإنها تطهره وتزيده بركة ، وتحفظه من الآفات والتلف والضياع ” ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بغفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى ” مسلم عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة .

– وأما الفرد : فإن الله يغفر ذنبيه ، ويرفع درجاته ويكثر حسناته ، ويشفيه من أمراض البخل والشح والأثرة وحب الذات ، وهي أمراض مهلكة ، قال عليه الصلاة والسلام ” ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ” البيهقي عن أنس وهو حديث حسن .

– وأما المجتمع : فالمعروف أن الزكاة تدفع لليتيم الذي لا مال له ولا أهل ، والفقير الذي لا يجد ما يسد حاجته وحاجة أهله ، والغريم الذي أثقلته الديون فلم يستطع تسديدها ، والمجاهد وطالب العلم المتفرغ له .

كل هؤلاء قد ينظرون إلى أموال الأغنياء بنفوس حاقدة وقلوب منكرة ورغبات مدمرة ، إذا لم يعطهم الأغنياء حقهم المفروض ، فإذا أعطيت الزكاة ، اجتمعت القلوب وارتفعت دعوات هؤلاء بالخير والنماء للأغنياء ، وتحقق مبدأ التعاون على البر والتقوى ...

” إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ” التوبة 60 .

تذكر أيها المزكي ، بأنك لا تمتن بركاتك على أحد ، ولا تتعالى بها على الفقراء ، فأنت هنا تتعامل مع الله تعالى في صفقة رابحة ” من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ”
فلا هوان على الأخذ ولا من من الدافع ...

ولأهمية هذه الشعيرة ، ولأنها في الأصل من أعمال الحاكم المسلم ، أنشئ صندوق الزكاة لتنظيم جمعها وتوزيعها ولضمان وصولها إلى مستحقيها ، عبر كل المساجد في بلدنا ، أينما اتجهت وحيثما كنت ، يمكنك وضع زكاة مالك في الصناديق المخصصة لذلك ، ببسر وسهولة ، وستصل بإذن الله إلى مصارفها الثمانية التي أمر الله أن تعطى لهم ...
تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال ، وغفر الله لنا ولكم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إعداد : يوسف علال

إمام وخطيب جامع الأمير عبد القادر — قسنطينة —